الغدير

١٤٣٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الغدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي اختص محمدًا برسالته، واصطفاه لحمل أمانته، وارتضى عليًّا لخلافته، وأهل بيته تراجمةً لكتابه وأمناء على وحيه، نحمده ونثني عليه أن جعلنا من أمته، وفضلنا باتباعه وولايته حمدًا يتقبله منا ويرضى به عنا.

ونشهد أن لا إله إلا الله ولا مشرع سواه، وحده لا شريك له، عدلٌ حكيمٌ برٌّ رؤوف رحيم.

ونشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، بعثه على حين غفلة من الرسل بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

ونشهد أن خليفته من بعده ووصيه في أمته أميرُ المؤمنين ويعسوب المتقين، علي بن أبي طالب، صلوات ربي عليهما وعلى أهل بيتهما الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

أيها الحفل الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدنا في هذه الذكرى العظيمة وفي هذه المناسبة الدينية الكبيرة أن نقف وإياكم أمام هذا الحدث الهام والتشريع العظيم الذي يعتبر منعطفًا خطيرًا وامتحانًا كبيرًا لكل من يؤمن بالله عز وجل ويؤمن بشريعته ودينه..

ونقف أيضًا أمام تلك الشخصية الكبيرة والعظيمة التي رَسَمت لكل العظماء والنبلاء مبادئ الإسلام والعدل والرحمة والإنسانية الحقة، وجسَّدت معنى العبودية لله عز وجل في هذا الوجود

أما أهمية هذا الحدث الكبير فقد عبر عنها القرآن الكريم عندما نزلت الآيات تخبر محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم أنه ملزم ومفروض عليه إبلاغ الناس وإعلامهم بولاية علي عليه السلام، ولم يكتف بالإيجاب فحسب، بل إذا لم يؤدِ ذلك ولم يخبر الناس فلا قيمة لما قدَّمه من أول رسالته إلى آخرها، وكأنه لم يبلغ شيئًا منها ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.

بمثل هذا التعبير القوي والواضح يعرف الإنسان المؤمن أهمية هذه المسألة، وعظمة هذه الشعيرة الكبيرة.

ويمثل أهميته أيضًا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مثل هذا اليوم المبارك وهو عائد من حجة الوداع، وإيقافه تلك الحشود الهائلة التي اجتمعت من شتَّى البلدان لأداء فريضة الحج، ويوقفهم في منتصف الطريق وفي منتصف النهار، وتحت حرارة الشمس وعلى لهيب الرمال يقف، ومن على أقتاب الجمال رافعًا ليده ولِيَدِ علي بن أبي طالب حتى بان بياض إبطيهما للناس، فهذه الأفعال كلها على هذا النحو وهذه الكيفية تدل دلالة قوية على أهمية هذا الموضوع وحساسيته.

وكذلك دلالة قوله أيضًا عندما يباشرهم سائلًا لهم: ((أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟)) هذه المقدمة للكلام الذي أراد أن يقوله توحي بأهمية هذا الموضوع وضخامته.. يسألهم سؤالًا يُراد به التقرير والتوكيد والاعتراف الذي هو من الحجج التي تلزم من أقر بها. وأيضًا يستلهم منه السامعُ الاستعطافَ للناس والإشارةَ إلى أن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام مرتبطة بولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فما الفائدة من سؤالهم ذلك السؤال وهم يعلمون حق

العلم أن النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما نطق بذلك القرآن الكريم، فرسول الله ﷺ عندما يقدّم مثل هذا الكلام يشعرهم بذلك، بل إنه صرح به بعدما قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: ((فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه))

بهذا الارتباط الوثيق يؤكد لنا المصطفى ﷺ أهمية تولي عليٍّ عليه السلام كما نتولى محمدًا ﷺ، يربط الولايتين إحداهما بالأخرى بالشرط الذي يدل على التلازم وعدم الانفصال؛ فمن اعترف بولايتي له وصدَّق بولاية رسول الله ﷺ على نفسه فليعترف وليصدق بولاية علي عليه السلام كذلك، بل إن المفهوم لهذا الكلام النبوي يدل على نفي ولاية علي عليه السلام إذا لم توجب ولاية رسول الله ﷺ، فهما ولايتان لا تنفكان ولا تنفصلان، فمن يتولى ويعترف بولاية رسول الله ﷺ لا بد وأن يتولى ويعترف بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وإلا لم تكمل له ولاية رسول الله ﷺ.

وهذا مما يدل على أهمية هذا التشريع الرباني العظيم، بل إن الله عز وجل لم يعتبر لمحمد ﷺ إبلاغه للشرائع كلها إذا لم يبين ولاية علي عليه السلام ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.

فأي تجليل وتعظيم أكبر من هذا!! وكما قال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في وجوب اعتقاد ومعرفة ولاية علي عليه السلام: «إنها واجبة على جميع المسلمين، فرض من رب العالمين، ولا ينجو أحد من عذاب الرحمن، ولا يتم له اسم الإيمان حتى يعتقد ذلك بأيقن الإيقان؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ فكان ذلك أمير المؤمنين رحمة الله عليه دون جميع المسلمين؛ إذ كان المتصدق في صلاته، المؤدي لما يقربه من ربه من زكاته».

فهذا كلام الهادي إلى الحق الأقوم، وهو من بشر به سيد المرسلين الأعظم ﷺ.

ومن زيادة الإيضاح والتبيين الذي نطق به سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الغدير قوله بعد ذلك داعيًا ربه جل وعلا: ((اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)).

أردفه بهذا الدعاء المرعب والمرغب معًا، الدعاء لمن تولى عليًّا بولايةِ الله ونصرِ الله له، والدعاء على من لم يتولاه بعداوةِ الله وخذلانِهِ له؛ فهو بهذا الدعاء يؤكد لأمته أهمية هذه الولاية وعظم شأنها، يرغب فيها ويحذر عن التقصير فيها أشد التحذير.

أيها الأخوة المؤمنون:

كما علمنا أهمية هذه المسألة وكونها أصلًا من أصول الدين نعلم أيضًا أنها من البلاء والتكليف الذي كلفنا به، وأمرنا باعتقاده والعمل على وفقه، كما كلفنا بالإيمان والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعمل على وفق ذلك.

فمن هنا لا بد أن الله عز وجل يمتحن المكلفين ويختبر طاعتهم له بشتى الامتحانات والتكاليف، في النفس وفي المال وفي البدن وفي نواحي عديدة، وبأساليب متنوعة، فالإنسان المؤمن لا بد أن يدرك ذلك كله ويسلم لله سبحانه في كل أوامره ونواهيه، سواء علم حكمة ذلك أو لم يعلم؛ لأنه عز وجل لا يأمر إلا بما فيه حكمة ومصلحة عائدة على الإنسان في العاجل أو الآجل أو فيهما معًا، ولا ينهى إلا عن ما فيه مضرة ومفسدة عائدة على الإنسان في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معًا، فقد تكون بعض التكاليف سببًا لفشل الإنسان في الامتحان أمام الله عز وجل، فتكون ارتكاسته على رأسه وخسارته لدنياه وآخرته، وذلك هو الخسران المبين.

فمن هنا نستفيد ونتعلم من مسألة الولاية دروسًا وعبرًا عظيمة وعديدة:

منها: أن الله اختبر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولاية علي عليه السلام كما اختبر المشركين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه المسألة مما زلَّت فيها الكثير من الأقدام، فالإنسان عندما يؤمر بطاعة ومتابعة من يرى أنه مثله وأنه لا فضل له عليه تستنكف نفسه وتأخذه العزة، وينسى من هو الآمر، وقد تغطي الكراهيةُ والغيرةُ وحبُّ الذات إدراكَ العقلِ بأنه يجب طاعة هذا الإله العظيم في كل ما أمر ونهى وعلى أي نحو كان؛ لأن ذلك في الأول والآخر عبادة وتعظيم للآمر والمشرع.

وهذا الشعور يطغى على نفسية المأمور إن لم يكن لديه قوة وإيمان وارتباط وثيق بالله سبحانه، أما إذا وجد لديه ذلك وكان مسلّمًا لله خاضعًا في تشريعاته فإنه ينجح في ذلك نجاحًا باهرًا، ويرفعه الله ويتولاه في الدنيا والآخرة.

والحكمة من ذلك -أيها المؤمنون- أن الله عز وجل يبتلي بذلك ليبين المحب لله حقًّا من غيره، والصادق من الكاذب، كما قال الله عز وجل: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ فلولا شدة الامتحان ما ظهر الصادق من الكاذب، ولا امتازت النفس المؤمنة الطيبة من الخبيثة المنحطة.

وأول شاهد على ذلك ما قصّه الله علينا من خبر إبليس مع آدم عليه السلام، فإن الشيطان الذي طالما تعبد وتهجد حتى صار طاووسًا للملائكة فشل في هذا الامتحان وعصى اللهَ سبحانه وتعالى، مغترًّا بما صار إليه من المكانة، ومبرِّرًا ذلك العصيان بمبرِّر قبيح واهٍ، وهو أنه لا يسجد ولا يعظم من هو دونه في العنصر قائلًا: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾.

أما الملائكة العارفون بالله المتضعون لعظمة الله ولأوامره فقد لبّوا أمرَ اللهِ وامتثلوه على الفور ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، أما إبليس فقد أبى واستكبر وكان من الكافرين، واستحق الطرد والغضب والنكال، وميَّزه اللهُ عن ملائكته الكرام، وبيَّن حقارته ودناءة نفسه.

وكذلك الكثير من أمم الأنبياء عليهم السلام كان يحمل نفس التصور، ويدلي بنفس

الحجة ﴿أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ونحوها كثير، فهم لا يرون وجوب اتباعه وطاعته وإن جاءتهم الأدلة والآيات والمعجزات والبراهين بحجة أنه بشر وأنه لو كان ملكًا من غير جنسهم لاتبعوه وأطاعوه.

وقد يكون السبب في عدم الاتباع والاعتراف هو الحسد والتنافس على الدنيا، والخوف من زوال السيطرة والنفوذ كما هو شأن اليهود مع عيسى ابن مريم عليه السلام، وكما هو شأن اليهود والنصارى مع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، وكما هو حال قريش مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتارة يقولون: ﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ وتارة يقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

فأسباب الفشل في الامتحان والتكليف قد تتعدد ومؤداها واحد، وهو الخيبة والفشل والعصيان لله عز وجل، وترك الدليل والبرهان الذي أَمَرَنَا الله سبحانه أن نأخذ به وأن نتبعه.

فالذي يجب أن نتعلمه ونستفيده من هذا هو الخضوع والانقياد لله سبحانه باتباع أدلته التي تدلنا على ما أراد الله منا، لا باتباع الشبه والمبررات الضعيفة التي يضعها الشيطان ويسوِّلها للإنسان أهواء النفوس كما قال عز وجل: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ وقال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾.

وقد ذكر الله عز وجل أصنافًا من الناس تركوا الأدلة والبراهين لأسباب وأغراض دنيوية تافهة كما ذكرنا فيما مر: من الحسد والكبر وحب الدنيا والتعصب للعنصر، وكما ذكر عن الكفار أنهم يتعصبون لآبائهم وأسلافهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾، كما أن الإنسان قد يتعصب لقومه وعشيرته أو لطائفته أو حزبه أو بلده أو للأعراف

والتقاليد وما نشأ عليه، كما حكى الله عنهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أو لقرابته أو غيرها من الأشياء التي تكون عنده أكبر من الأدلة والبراهين.

فكما فشل الكثير من هؤلاء في تولي الأنبياء عليهم السلام فشل الكثير من المسلمين في تولي علي عليه السلام، فتراه يلهث وراء الشبه والظنون ليدعم قوله ويرد الحجج والبراهين الواضحة، فضلَّ في نفسه وأضلَّ عن سواء السبيل.

والامتحان -أيها المؤمنون- قد يكون في أمر ديني وقد يكون في أمر دنيوي، فالديني كمسألة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وتفضيله، وهي مسألة الاصطفاء والاختيار الذي قال الله عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وهي مسألة هامة وعظيمة.

وقد يكون الامتحان بسبب دنيوي، كما قد يفضل الله أقوامًا أو أشخاصًا بوفرة رزق أو جاهٍ أو جمال أو ما شاكل ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ وكما قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

فكما أن الإنسان مطالب بترك التنافس والحسد والغيرة في ما فضّل الله به الناس بعضهم على بعض في الأمور الدنيوية فكذلك يجب عليه ترك الحسد والغيرة والكبر في الأمور والمميزات الدينية.

أيها الإخوة المؤمنون:

الله سبحانه وتعالى يذكر لنا الوقائع والسير والأحداث في كتابه؛ لنتعلم منها ما ينفعنا ويقربنا إليه، ولنبتعد عما يبعدنا عنه ويغضبه علينا؛ فعلى الإنسان أن يتعلم من أخطاء الآخرين، وأن يحاذر ألا يقع في مثلها.

فإمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام التي نازع فيها الكثير، وتأول من تأول، وتردد من تردد بعد ورود الأدلة التي بلغت حدًّا أبهرت المخالف، مسألة الولاية هي

مدرسة لنا لنتعلم منها الكثير من الدروس التي نستفيد منها في واقعنا، وأمام التكاليف التي تعرض لنا.

مع أن شخصية علي عليه السلام وعظمته وإيمانه وصبره وأسبقيته إلى الإسلام وقرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها من الفضائل التي لا تحصى- كثيرة، ومؤهلاته التي تفرد بها عن سائر صحابة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تدعو المؤمن لتوليه واتباعه واقتفاء أثره، كما قال أحدهم: «لو لم يكن نصٌّ لقدَّمَه الفضلُ».

فواجبنا اليوم ومسئوليتنا الملقاة على عواتقنا هو العمل بما يرضي الله عز وجل، والابتعاد عما يسخطه مجسدة في اتباعنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته عليهم السلام كما قضت بذلك الأدلة، ودعت إليه الحجج والبراهين، فمتبع أهل البيت عليهم السلام في علمائهم الأتقياء الأبرار الدعاة إلى الله، والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والسائرين على نهج آبائهم من الأئمة الكرام والعلماء الأعلام، كإمام زماننا وحجة عصرنا السيد العلامة الراحل/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي قدس الله روحه في عليين، وكذلك من سار على دربه ونَهَجَ منهجَه من أهل البيت المطهرين والشيعة الميامين، جعلنا وإياكم من محبيهم ومتبعيهم إلى يوم الدين، بحق محمد وآله الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.